حـول تـرجـمـة الـقـرآن الـكـريـم

شعيب مقنونيـــف

جامعة تلمسان

تـمـهـيـد : حـول تـبـلـيـغ الـقـرآن الـكـريـم .

أنـزل اللّـه سـبحانه وتعالى كتابه الكريم بلـسان عربي مبين،وجعله أصل الرسـالة التـي بعـث بهـا نبـي الرحمة للناس كافة . فـهو معينها الذي لا ينضب، وشـمـس هـدايـتها التي لا تغرب، وهو بدون شك طب القلوب من رانها ، وشفاء الـنفوس من أدرانها، لا يغفل عنه إلا من حرم الخـير، ولا يهجره إلا من أراد الله أن يسلط عليه الغير.

مـن أجل هذا أكد الله سبحانه على المسلمين جميـعا، أن يتدارسوه ويتدبروا آياته حتى يفوزوا بخـيري الدنيا والآخرة .

وإن لم يكن هذا ميسورا لغير الناطقين بلغته، الواقفين على جمال سرها وجلال روعتها، فما السبيل إلى توثيق الصلة بينه وبين أولئك الذين تهفو إليه قلوبهم ، وتتعشقه أرواحهـم، ممن آمن به وحالت معرفتهم للغـته التي نزل بها بينهم وبين طريق الهداية التي رسمها، والأحكام التي شرعها والمواعظ والعبر التي اشتمل عليها ؟ أو أولئك الذين ضلت بهم السـبل و أعياهم البحث من أجل الوقوف على الحقيقة التي يطمئن لها القلب والعقل .

فهل يا ترى يغض علماء المسلمين وولاة الأمر فيهم أعينهم عن كل هذا، وهم حملـة الرسـالة المكلفـون بداء الأمانة أو أنهم يعملون على ترجمة القرآن ونقل هديه

وتعاليمه الصحيحة إلى لغات هذه الأقوام ، فيبددون ما اعترض طريقه من الشبهات والأباطيل،ويهتدي بهديه جل من لم يحسن العربية من أبناء المسلمين.

وإذا كانت هذه أمور ملحة توجب توضيح القرآن، وبيان معانيه للناس أجمعين،فهناك أمر آخر يتطلب ذلك ويستدعيه هو عموم رسالة النبي (صلعم) فلم تكن رسالته خاصة بقومه شأن سائر الأنبياء السابقين، بل بعث إلى الناس كافة، سواء منهم الناطق بلسان النبي (صلعم) أو الناطق بأي لسان آخر .

والنبي الكريم قد أمر بتبليغ الجميع، استجابة لخطاب الله عز وجل له بقوله : " يا أيها الرّسول بلغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته".(1)

ومعلوم أن الأمر بالتبليغ منه شامل لكل من أرسل إليهم، والله تقدست أسماؤه يقول : " وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيرا ونذيرا" (2) .

وشرط التبليغ التفهيم، فلا يتصور أن يكون مبلغا من خاطب الناس بلسان لا يفقهون منه شيئا ، ولا طريق لتبليغ من لا يعرف غير لغته إلا بمخاطبته بلغته. وهذا يستلزم أن نترجم لهم ما به يسقط الواجب الملقى على عاتقنا من التبليغ وتقع الحجة على كل من لم تبلغه الدعوة من غير المسلمين.

ولكن هل لا يتم الواجب إلا بترجمة القرآن نصا ؟ وهل إذا أردناه أمكننا ذلك دون أن يترتب عليه محظور شرعي ؟ أو أنه يكفي في ذلك ترجمة تفسيره وتوضيح هديه وتعاليمه ؟

هذا ما وقعت بسببه معركة حامية بين العلماء كثر فيها الرد على بعضهم واحتدم النقاش بينهم في عشرينيات وخمسينيات هذا القرن، فكان منهم من يرى أنه لا بد من ترجمة القرآن لما سبقت الإشارة إليه، ومنهم من عارضهم لتعذر ترجمة القرآن وعدم جوازها شرعا .

وحـــتى نتمكن من معرفة الســـبيل الصحيح الواجب على المسلمين أن يسلكوه في تبليغ القرآن وتوضيح رســـالة الإسلام. لا بد لنا من معرفة حقيقة الترجمة وأنواعها و الشـــروط التي لا بد من توافرها في كل منها ، حتى نرى الممكن أن نسلكه منها دون أن يترتب على ذلك محظور شرعي أو أن نمس بحرمة القرآن الكريم وقدسيته .

1 – الـــتـــرجـــمـــة والقـــرآن فـــي الـــلـــغـــة :

أما الترجمة في اللغة فتطلق على معان ثلاثة :

الأول : تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ورد في المصباح المنـــير ما نصه :

" تـــرجم فلان كلامه إذا بينه وأوضحه" (3) ومن هذا القبيل ما قاله ابن مسعود في حقّ ابـــن عباس، رضي الله عـــنهما، (نعم ترجمان القرآن عـــبد الله بن عـــباس)(4) فإنه أكثر ما روي عـــنه تفسير القرآن واشتهر به .

الثانـــي : تفسير الكلام بغير لغته، ففي مختار الصحاح : " ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر " (5) . وقال الزبيدي في " تاج العروس " (الترجمان المفسر للسان ، وقد ترجمه عـــنه إذا فـــسر كلامه بلسان آخر) (6) .

الثالـــث : نقل الكلام من لغة إلى أخرى ، جاء في لسان العرب : (الترجمان هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى والجمع التراجم) (7) ، وهذا المعنى نفسه قد ذكره أيضا شارح القاموس (8) .

القرآن في اللغـــة : هو مصدر مرادف للقراءة ، استنادا إلى قوله تعالى: " إنّ علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه "(09)، وذهب آخرون إلى أنه وصف مشتق من القَرء ، يفتح القاف ، بمعنى الجمع كأن نقول : قرأ الماء فـــي الحوض أي جمعه فيه . وعليه فالقرآن جامع لفضائل الكتب السابقة ، أو لأنه جامع للأوامر والنواهي والقصص والوعد والوعيد وغيرها . وقال آخرون إنه مشتق من الاقتران لأن آياته وسوره مقترن بعضها ببعض اقترانا وثيقا يتجلى فيه التماسك والتلاحم (10)

والمتعارف عـــليه عند الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية أن القرآن الكريم (هو الكلام المعجز المنزل على النبي 'صـــلـــعـــم' الـــمكتوب في المصاحف المنقول بالـــتواتر المتعـــبد بتلاوته) (11) وهذا هو أوسع تعريف عندهم ، وقد اختصره البعض وتوسط فـــيه آخرون.

إذا تبيـــن هـــذا فواضح أن نسبة الترجمة بمعناها اللغوي الأول إلى القرآن ما يكـــون فـــيه أي مانع البتة ولا يترتب عليه أي محظور،بل هو أمر مطلوب شرعا إذ لا يعنـــي أكثر من تفسير القران بلغته ، وهذا ما أكد عليه رب العزة فـــي كتابه حيث قال مخاطبا خاتم الأنبياء والمرسلين : "وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نزل إليهم " (12) بـــل إن بيان الشرائع والأحكام هو الأصل الذي بنيت عليه الرسالات كلها وهذا واضح من الآية الكريمة : " وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم " (13) .

هـــذا وقـــد اجمع العلماء على جواز تفسير القرآن ولم يمنعه أحد منهم مادام المتصـــدي له قد توفرت فـــيه الشروط التي يجب توفرها في المفسر، بل قد نصوا على أنـــه من فروض الكفاية التي يقع الإثم بتركها على الأمة جمعاء . قال السيوطي : " قد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الـــكفاية " (14) .

أما نسبة الترجمة إلى القرآن بالمعنى الثاني، وهو تفسير القرآن بغير لغته ، فهي كذلك جائزة لا حرج فيها ، بل هي طريق إلى تبليغ معاني القرآن وإيصال هدايته لغير المسلمين ممن لا يعرفون العربية بل إن ترجمته بهذا المعنى متعينة . فعلاوة على ما تحققه من التبليغ الواجب شرعا على العلماء، فإنها تعين المسلين من غير العرب على تفهم معاني القرآن والتعرف إلى أحكامه ، فإنهم وإن حفظوا شيئا من القرآن يرددونه في صلواتهم ويتعبدون بتلاوته إلا أن ذلك لا يكفي بل لا يغني حينما لا يفقهون معناه ، ولا يعلمون ما يقولون .

وقـد حـث سبحانه وتعالى في كثير من آيات الذكر الحكيم على تدبر معانيه والتخلق بأخلاقه والخضوع لأوامره ونواهـيه . وإذا لم يـكن هذا في مقدور من يجهل لغـة القرآن،فتفسـيره بلغـتهم أمـر أكثر ضرورة من تفسيره بلغته التي نزل بها، لأن الناطقين بلغته إن خفي عليهم من معانيه شيء لا يفوتهم منه كل شيء بخلاف غـيرهم.

ثم إن في هذا العمل ردا على أباطيل المفترين من خصوم هذا الدين وأكثرهم مـن المستشرقـين المبشرين (15) الذين يعملون على تلفيق الشبهات والطعن (16) بها علـى ما جاء به القرآن ، وتشويه حقيقته في نفوس عامة من حجبهم عن الإطلاع عليه عدم معرفـتهم باللغة العربية أو تذوقهم لبلاغـتها وأسرار جمالها ، فعملـوا على نشر تـرجمات كثـيرة للقرآن حرفوا فـيها كثيرا من الكلم عن مواضعه ودسـوا فـيها من الأباطيل والأضاليل(17) ليظهروا الدين الإسلامي بمظهر مشوه بالخرافات والتناقضات.

وبهـذا أيضـا يـرفع التسـاؤل الـوارد على عموم رسالة الرسول الكريم وخصوصـية نزوله باللفظ العربي دون غيره لأن في ترجمة تفسيره إلى مختلف اللغات ونشر أحكامه وهديـه بينهم فيه ما يغني عن إنزاله بهذه اللغات وهو ما أجاب به كثير من العلماء الذين ردوا على هذه الشبهة (18) .

2 – جـواز تـرجـمـة الـتـفـسـيـر :

ولـم يمنع أحد من العلماء جواز ترجمة التفـسير لأنها بمنزلـته ولا تختلف عـنه إلا كونها بلغة أخرى فليس دعوى المحافظة على نظم الأصل وترتيبه ولا دعوى شمول جميع معانيه ومحاكاة بلاغته وأساليبـه ، فكل هذا خارج عن طاقة البشر يستحيل في حق القرآن كما سأوضحه بعد حين (19).

وقـد وضـعت شروط لهذه الترجمة ينبغي توفرها في المترجم،وإلا اعتبرت ترجمته ناقصة وغير مقـبولـة ، وهذه الشروط (20) هـي :

1 – أن تكـون الترجمة مستندة إلى الأصول الصحيحة التي يجب الاعـتماد علـيها فـي تفسير القرآن وبيان هديه وأحكامه مما سبق توضيحه ، من كتاب الله وسنة رسول الله،وما ثبت بالطرق الصحيحة عن أئمة الصحابة ثم لا بد من الاعتماد على اللغة العربية.

2 – أن يكـون المـترجم علـى علـم صحيح بأوضاع اللغتين،المترجم منها والمـترجم لهـا وعلى بصيرة بدلالات الألفاظ،وأساليب تركيبها في اللغتين حتى يؤديه بشكل صحيح لا يعترض عليه فيه .

3 – أن لا يكـون معروفا بالهوى والميل إلى عقيدة معينة مخالفة لما جاءت بـه الشـريعة الإسلامية وهـذا شرط في كل من المفسر والمترجم حتى لا يفسر الأول بهواه، ولا يترجم الثاني برأيـه وعـقيدته ، بل يكون رائد كل منهما القرآن وهـداه .

4 – يجـب رفـع توهم أن تكون هذه الترجمة هي القرآن أو أنها تشمل على جميع ما حواه من معاني وأسرار لأن هذا ما لا يمكن أن تحيط به ترجمة من الترجمات ولا يستطيعه بشر مهما أوتى من بلاغة التعبير ، وقوة التأثير .

وإذا توفرت هذه الشروط كانت هذه الترجمة مطلوبة شرعا طلب فرض الكفاية لأنهـا نوع من التفسير والتفسير من العلوم المفروض تعلمها على الأمة ، بل إن ترجمة مثل هذا التفسير آكد لما يترتب عليها من فوائد لا تترتب على التفسير نفسه (21) .

وإذا كـنا انتهينا من بيان حكم نسبة الترجمة إلى القرآن بمعناها اللغوي الأول والثانـي بقي علينا أن نوضع حكم نسبتها إلى القرآن بالـمعنى اللغوي الثالث وهو نقل الكلام من لغة إلى أخرى وهو صلب موضوعنا .

إن النقل إما أن يراعى فيه محاكاة نظم الأصل وترتيبه،وذلك بأن يعمد المترجم إلى إبدال كل كلمة من الأصل المراد ترجمته بما يساويها في اللغة المنقول إلـيها بدون تقـديم أو تأخير ولا زيادة أو نقصان وشـرط أن تكون الترجمة قائمة مـقام الأصل في

تأدية معانيه والوفاء بجميع مقاصده وأغراضه . وهذا هو ما يدعى بـــ " الترجمة الحرفية ". وأمـــا أن يراعي فـــيه الوفاء بمعنى الأصل دون محاكاة نظمه وترتيبه وهذا ما سمي بـــ "الترجمة المعنوية أو التقريبية أو التفســـيرية " .

وتجـــدر الإشارة إلى أن ثمة فريقا من العلماء قد أطلق الترجمة المعنوية أو التفســـيرية على ترجمة التفسير التي سبق الحديث عـــنها وبديهي أن يحكموا بجوازها، ومنهم من أطلقها عـــلى ما ذكرناه وصرح بجوازها الأمر الذي أوقع البعض في اللبس فصرح بعدم وجود خلاف حقـــيقي بين العلماء الذين احتدم بينهم النقاش في هذه المسألة. مـــع أن الفريق الأول قد صرح بنفي إمكان هذه الترجمة القريبة من الترجمة الحرفـــية بالنســـبة للقـــرآن الكـــــريم ، لـــتعذر إمكان وجود ترجمة تستطيع الوفاء بجميع معاني القـــرآن الكـــريم،وقد وجدنا من أطلق الترجمة المعنوية أو التفسيرية على ما ذكرناه ، وصـــرح بنفـــي إمكانها بالـــنســـبة للقرآن الكريم . هذا مع وضوح الفرق بين الترجمة المعـــنوية وتـــرجمة التفسير فإن الأولى فـــيها دعوى الوفاء بالمعنى بخلاف الثانية كما أشرنا .

3 - الـــصـــعـــوبـــات الـــتـــي تـــعـــتـــرض الـــمـــتـــرجـــم :

ويمكننا حصر هذه الصعوبات في الآتي :

1 – صـــعوبة تحديد معاني الألفاظ بشكل عام ، وفي النصوص الأدبية بشكل خـــاص يقول الدكتور محمود السعران : " إن للكلمة في اللغة غـــير المعنى الـــقاموسي العام ، وغـــير المعنى الذي قد يفـــهم من السياق إيحاءات وارتباطات نتجت عن الحياة المشـــتركة التي حيبها أصحاب اللغة ، فعندما ننقل من لغة إلى أخرى فكيف نوفق في اصطياد كلمات تعطي إيحاءات الحياة الأخرى ، وارتباطاتهـــا ؟ ويضرب على ذلـــك مـــثال هو لفظ الجلالة الله فيقول : " كنا ننظر في تفسير مارمادوك بكثول (22) للقرآن الكـــريم،ورأيناه ذهب مذهـــبا خاصا في نقل كلمة الله عزّ وجلّ إلـــى الإنجليزية : فلفظ

الجلالة يترجم عادة بـ GOD ولكن بكثول لاحظ أن كلمة GOD لا تثير ذهن القارئ الإنجليزي ما تثيره كلمة " الله " في ذهن القارئ العربي ، فكلمة GOD في الإنجليزية تؤنث بـ Goddes وتجمع على GODS بينما " الله " وهو واحد لا شريك له ، كلمة لا مثنى لها ولا جمع ولا مؤنث ، فالتصور الذي تشير إليه تصور يقضي على الشرك بينما كلمة GODلا تقضي على هذا التصور ولم يجد بكثول في الإنجليزية كلمة تقابل كلمة " الله" في العربية فاحتفظ بكلمة الله في الإنجليزية كماهي " (23) .

2 – إن اللغات تختلف في النظام الذي تخضع له الجمل في تركيب كلماتها وعلاقة كل كلمة بالأخرى ، فللفعل مكان خاص من الجملة وللفاعل مكان آخر، وللمفعول مكان ثالث وهكذا وقد يضطر المترجم إلى التقديم أو التأخير، وإلى عملية تنظيمية خاصة حتى تبدو ترجمته جارية على المنهج المألوف في اللغة المترجم إليها (24) .

3 – ومن صعوبات الترجمة أيضا كل ما يتعلق بجمال الألفاظ وموسيقاها. فقد يؤثر الكاتب لفظا على آخر لا لشيء سوى أن اللفظ له رنة رتيبة في أذن الكاتب والسامع،أو لأنه ينسجم مع سبقه من ألفاظ أو ما يليه منها، فتتكون من عباراته وجمله،سلسلة من الأصوات اللغوية المنسجمة التي تؤثر في الآذان والأسماع وتلك هي الصفة التي تفتقدها في كل ترجمة ولا سيما في ترجمة الألفاظ العربية .

4 – إن ما في اللغة من مجازات وتشبيه ، واستعارات وأمثال ودلالة الكلمات،إنما هي مستمدة من البيئة ، ومن ثم فإنها تختلف من بيئة إلى أخرى ، تختلف عنها في طبيعتها ونظام معيشتها الأمر الذي تختلف بسبب نوعية هذه الأشياء من لغة إلى أخرى ، فقد يتعارف أصحاب لغة من اللغات على أنواع من المجازات ، أو التشبيه والاستعارات ، لا يتعارف عليها أصحاب لغة أخرى ، أو يوجد لديهم من الأمثال ،

ودلالة بعض الكلمات بما فيها من الشمول أو التحديد، ما لا يوجد عند غيرهم ، ولا شك أن نقل مثل هذا إلى لغة أخرى فيه من الصعوبة ما لا يخفى ، فإنه إذا نقل المعنى المراد فقد ذهب ببلاغة الكلام ورونقه ، وإذا نقل لفظه قد يذهب بالمعنى ويكون مجالا للسخرية والاستهزاء (25) .

5 – هل ترجمة القرآن حرفيا ومعنويا جائزة شرعا وعقلا :

يستدل من مواقف العلماء ، ومنذ القدم أنهم لم يجيزوا ترجمة القرآن. بل فقد أجمعوا على إمكانية ترجمة القرآن بمعانيها الأصلية ومعانيه البيانية التي اشتمل عليها،لذلك لا تسوغ الترجمة كما أنها ، لو حصلت لا تعد قرآنا لما يؤدي ذلك من التحريف والتبديل .

ونكرر القول ، إن تعذر الترجمتين بالنسبة للقرآن الكريم واستحالتها ، فلأمور أخرى ، غير ما ذكرنا ، خاصة بالقرآن ، ولا يمكن توفرها في أي كلام سواه ، وهذه الأمور هي :

أولا : بالنسبة للترجمة الحرفية :

1 – لا يمكن في ترجمة القرآن حرفيا محاكاة نظم الأصل وترتيبه ، لأن نظم القرآن معجز كما هو معروف فليس في طاقة البشر أن يأتوا بمثله بل بأقصر سورة من مثله ، ولو أمكن ترجمته حرفيا لبطلت آية التحدي ، مع أن فساد هذا لا يخفى ، فإن التحدي لا زال قائما، وأن كون القرآن في الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة قد حال دون استطاعة أحد من البشر مضاهاته أو محاكاته.

2 – إذا كان ما امتازت به اللغة العربية من الإيجاز، وجمال التعبير، والاختصار والترادف والمحسنات البديعية ، على نحو ما بيناه، يتعذر نقله إلى غيرها من اللغات مع المحافظة على جميع خصائصه البلاغية والبيانية فإن ما جاء به القرآن من هذا القبيل لا مثيل له في لغة العرب نفسها ، يستحيل ترجمته ترجمة حرفية إلا

مع تغيير وتبـديل،تخرج به عن أن تكون مماثلة لـــه، فإنها إذا جمعت بعض الخصائص وشيئا من المعاني تكون قاصرة عن الوفاء بجميعها.

فهـذا الدكـتور جـب (26) يحدثنا عن مدى إمكان ترجمة القرآن إلى اللغة الإنجلـيزية فـيقول : "لا بـد للـــترجمة الإنجلـيزية للقـرآن من نسخ بعض الجمل، والاستعاضـــة عـــنها بجمل صحيحة ، تـبـلغ درجة عظيمة من الـدقة في الصياغة لتصـل إلى شيء من بلاغـتها العربية،وكـلما اقـترنت الترجمة من الحرفـية كلـما ابتعدت عن الروعة وفقدت الروح وبهتت ألوانها، اللّهم إلا إذا كنا بصدد بعض المواضيع الوصـفـية كأن نقول : هذا طويل وذاك قـصير أو بعض المواضيع الشرعـية كهذا حـلال وذاك حرام، أو بعض المسائل الجدلية كهذا حق وذاك باطل، فهـنا لا نصطدم بالـصعوبة الـتي نجدها عـنـدما يبدو التصوير الفني والكناية البليغة ، والسكنات التي تتكـلم، والحروف التي تصطرع ففي هذه الجملة البسيطة " إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير" أرى الإنجليزية وأية لغة أخرى في العالم عاجزة عن استيعاب قوة لفظتي " إنا ، نحـن "... فمـن المسـلم به أننا لن نصل إلى معاني القرآن الـصحيحة مازلنا نجهل غـوامض اللغة العربية ونصل عما في تلك اللغة من استعارات ".

3 – إن الكـلام المعجـز الـمنزل عـلى خاتم الأنبياء والمرسلين، إنما هو باللفظ العربي، وغـير المنزل لا شك أنه لا يسمى قرآنا ولا يقوم مقام القرآن، بل هو تـبـديل للقرآن، وتبديل القرآن لا يجوز بالإجمـاع لا كتابة ولا قراءة ولو كان بألفاظ عربـية فلا يحل لأحد مهما كانت منزلته في فقه اللغة العربية أن يبذل كلمة بأخرى من نظـم القـرآن الكريم وإن اجمع حفاظ اللغة العربية على الترادف بين كلمتين من جميع الوجوه .

4 – ثـم إن من خواص القرآن التي أنزله الله بها، هي التعبـد بتلاوته باللفظ المنزل، وهذه الخاصية هي أول ما يزول بترجمة القرآن ترجمة حرفـية أو معنوية .

وعلـــى هـــذا فالصحيح أنه يستحيل عقلا ترجمة القرآن إلى لغة أخرى ترجمة حقيقية ، بحيـــث تساوي الأصل في إفادة جميع ما قصد منه من غـــير زيادة ولا نقصان ، وفي الاعتماد والاحتياج بكل منهما وتكون الترجمة حجة بين الله وخلقه إلا إذا كانت الترجمة بتوقـــيف من الله تعالـــى، وهـــو لم يكن ولن يكون قطعا.

ثـــانـــيـــا : بالـــنـــســـبـــة للـــتـــرجـــمـــة الـــمـــعـــنـــويـــة :

وإذا كـــان هـــذا الذي ذكرناه بما لا لبس فـــيه على عدم إمكان ترجمة القرآن ترجمة حرفية . فإن ما سأذكره أيضا في بيان عدم إمكان ترجمة القرآن ترجمة معنوية. يمكـــن الاســـتدلال به على عدم إمكان الترجمة الحرفية ، لأن كلا من الترجمتين فـــيها دعوى الوفاء بجميع معاني الأصل . وهذا مالا يمكن تحقيقه بالنسبة للقرآن الكريم، لأمور تعترض سبيله هي :

1 – إن القـــرآن الـــكـــريم هو كتاب الهداية للناس أجمعين ، به يهتدون إلى معرفة الأحكام الاعتقادية والعملية ، من عـــبادات ومعاملات وسياسات ومكارم أخلاق ، وإفادة القرآن لهذه الأحكام من سبيلين اثنين :

الأولـــى : دلالته على المعاني الأصلية التي يستوي في التعبير عنها وإفادتها ســـائر أنواع اللغات على اختلافها وبساطتها . ويستوي في إفادتها الكلام البليغ وغـــير البليغ ، ما دام مراد المتكلم واضحا لا لبس فيه ولا خفاء .

والثانية : دلالته على المعاني الثانوية التابعة للمعاني الأصلـــية وبمقدار دلالة الكـــلام حـــتى يصل إلى حد الإعجاز. فيفـــيد بالإشارة ما تعجز عـــنه العـــبارة . وهذا النوع من دلالة الكلام على المعاني والأحكام ما لا يتأتى نقله إلى أية لغة من اللغات ، لضرورة اختلاف أساليبها وطرق تعبيرها عن المعاني بالكلام .

2 – إن في القرآن الكريم من جوامع الكلم ، والكلمات المترادفة التي تفيد كل منها معنى زائد على المعنى الأصلي، ما لا وجود في أي لغة أخرى ، الأمر الذي يتعذر

بسببه إفادة هذه المعاني من الألفاظ المتعارف عـليها عند أصحاب اللغات الأخرى أنها تدل على هذا المعنى الأصلي .

فالأسماء الموضوعـة ليوم القيامة وهي علـى تعددها يوجد لكل منها خاصية لأداء المعاني المرادة التي تتناسب مع السياق ، ويكون لها من الوقع في النفس والأثر في التوجـيه والعظـة مالا يخفى ، " كالواقعة " و " القارعة " و"الطامة " و" الصاخة " و " الحاقة " و " الغاشية " و "يوم الدين " و " الباقية " وما إلى ذلك مما لها أثر كبير في قمع الشرور وإزالة الغرور، وليس لها ما يقابلها في أية لغة من اللغات ، فذا اقتصر المترجم علـى نقـل إحداهـا فأتت المعاني الاشتقاقـية، التي هي مقصودة بالذات في الموضع المناسب وإذا ترجمت بمعانيها الاشتقاقية لم تعد على صفة يوم القيامة .

وعليه يكون من المتعذر على البشر ترجمة القرآن ترجمة حرفـية أو معنوية.

3 – وجود المتشابه في القرآن يمنع ترجمته ترجمة حرفـية أو معنوية، ذلك أنـه مـا فسره المفسرون وبينوا له من معان قد تكون صحيحة إلا أنه لم يقطع أحد من العلمـاء بـأن هذا الذي ذكروه هو حقـيقة مراد الله منه ولا زال الاختلاف في معرفة المراد منه حاصلا بين العلماء .

4 – إن ترجمة القرآن ترجمة معنوية في صيغة استقلالية هي رواية بالمعني . ورواية القرآن بالمعنى قـد أجمعت الأمة على عـدم جوازها لم يخالف في ذلك أحد .

وختاما لهذه المداخلة ، نصل إلى النتائج التالية :

أولا : إن موضوع ترجمة القرآن الكريم إلى المسلمين من غـير العرب، من الموضـوعات المهمة والخطيرة في الآن نفسه ، ذلـك أن كتاب الله العزيز ليس كمثله كـتاب ، فهـو لفـظ ومعنى. فلا يمكن عـدّ المعنى وحده قرآنا ، ولا عدّ اللفظ وحده قـرآنـا . بل بلفظه ومعناه قـرآن وحسب .

ثانيا : جوّز علماء الإسلام ترجمة تفسير القرآن ، لأنها بمنزلـــته ولا تختلف عـــــنه إلا كونها بلغة أخرى ، إلا أنهم قيّدوها بشروط وجب توفرها في المترجم ، وإلا عدّت الترجمة ناقصة مردودة .

ثـــالـــثـــا : لما كان التعبد بتلاوة الـــقـــرآن باللفظ المنزّل من خواص القرآن التـــي أنزله الله بها،فإنها أول ما يزول بترجمة القرآن ترجمة حرفـــية أو معنوية. وعليه يستحيل عقلا ترجمة القرآن إلى لغة أخرى ترجمة حقيقية.

رابعـــا : أجمـــع العلمـــاء على عدم ترجمة القرآن حرفـــيا ومعنـــويا عـــقلا وشرعا مع تنبيههم إلى المفاسد المترتبة على ترجمته إلى المسلمين من غير العرب .

الهوامش

1 – من سورة المائدة (5) : من الآية 67 .

2 – من سورة سبأ (34) : من الآية 28 .

3 – أحمد بن محمد بن علي المقري : المصباح المنير، ج 1 ، ص 101

4 – جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، ج2 ، ص 187 .

5 – أبو بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، ص 236 .

6 – السيد محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس في شرح القاموس،13/8.

7 – ابن منظور : لسان العرب ، ج 14 ، ص 332 .

8 – انـــظر : تاج العروس ، ج 8 ، ص 113 .

9– من سورة القيامة (75): الآيتان 17،18.

10 – أنظر : د . صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص 17 – 20 .

11 – محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهـــل العرفان في علوم القرآن،12/1.

12 – من سورة النحل (16) : من الآية 44 .

13 – من سورة إبراهـيم (14) : من الآية 04 .

14 – الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 175 .

15 – الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن الاستشراق " انبثق من أفكار تبشيرية، هي مـن مـنظور شرعي، تخريبية ، تهدف إلى مهاجمة حصون الإسلام من الداخل، وتلك هي أخطر أنواع الحروب " .

16 – لقـد سمّى الأستاذ العقاد أصحاب هـذا الاتجاه بـ " الخصوم المحترفين " لأنهم اتخذوا " القدح في الإسلام صناعة يتفرغون لها ويعيشون منها.

17– إن هؤلاء المبشرين دخلاء على العربية.

18 – طـالع ذلـك في كتاب " مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب أي التنزيل "للـزاي ص،105 وما بعدهـا .

19 – أنظر : محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون،ج 1 ، ص 27

20 – للتوسع أكثر في هذا الموضوع ، طالع :

محمد شاكر : القول الفصل في ترجمة القرآن ، ص 119 .

21 – أنظر : محمد الخضر حسين جمعة ، من بلاغة القرآن ص19 – 21 .

22– هـو مارمادوك وليم بكثول (1875 – 1936) . ولد بلندن ، وقصد نيوشاتل فتعلّم الفرنسية ، ثم انتقل إلى إيطاليا فأجاد اللغة الإيطالية . وبعد ذلك رجع إلى إنجلترا فتعلم الألمانية والإسبانية . ثم أرسل من قبل والدته إلى سوريـا فتعلم العربية ودرس عادات وأخلاق عرب سوريـا .ثم استدعاه اللورد كرومر عام 1904 إلى مصر حيث أقام مدّة بها ، كللت بتصنيفه كتابين هما: " أبناء النيل " و " النساء المحجبات " . كما نشر مقالات عن الإسلام وصلاته بالنصرانية.ولما رجـع من تركيا ، التي قصدهـا في سـفريـة من قبل،أشهر إسلامه، ودعي إلـى الهند حيث اشترك في إصدار مجلة الثقافة الإسلامية عام 1927 . ومن

بحوثـــه فـــيها : " الـــثقافة الإســـلامية " و " التربية الإسلامية " و " العرب وغـــيرهم فـــي تـــرجمة القرآن " . وتولى منصب إمام المسلمين في لندن ، وقضى ثلاث سنوات في ترجمته معاني القرآن والتي راجعها ، فـــيما بعد ، مع بعض علماء مصر .

23 – علم اللغة : ص 295 .

24 – أنظر : د . إبراهـــيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 171.

25 – نفسه ، ص 172 .

26 – هو السير هاملتون جيب ، من مواليد الإسكندرية بمصر عام 1895 . يعـــد من أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين ، وخلفية شيخ المستشرقين الإنجليز "مرجليوث " فـــ أكسفورد ما بين 1937 و 1955 . كان عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة . كـــما شغل منصب أســـتاذ الدراسات الإســـلامية والعربـــية في جامعة "هارفورد " الأمريكية . صاحب كتابات كثيرة تميزت بالعمق والخطورة . من آثاره كتاب " الاتجاهات الحديـــثة في الإسلام " (1947)،وكتاب " المذهب المحمي "(1947) ، وقبلهما كتابا " رحلة ابن بطوطة في آسيا وإفريقيا " (1929) ، و" ما هو الإسلام ؟ "(1932) ، وآخرها " دراسات في الحضارة الإسلامية " (1963) (*) .